الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على خير معلِّم الناس الخير محمد ﷺ. وبعد،

أي مادة علمية تستهدف شيئًا من ثلاثة يخرج بها المحاضَر أو خليط منهم: هدف معلوماتي، أو هدف مهاراتي، أو هدف تصوراتي ووجداني. وهذه الدورة من النوع الثالث، وهدفها تأسيس وعي المسلم من خلال سرد تاريخي لبعض المعلومات، مستهدفين فهم عالم أفكار المسلمين في كل مرحلة من مراحل هذا السرد والذي تسبب عنه سلوكهم، وما يُستفاد من هذا الفهم في واقعنا وسلوكنا نحن.

❋ ❋ ❋

مفهوم الأمة مفهوم واسع مكانيًّا، فلا يقتصر على قُطر مسلم أو مجموع الدول العربية المسلمة، فيشمل جميع الدول المسلمة في العالم، بل ويتعدى أيضًا إلى البلاد الكافرة المدعوَّة إلى الإسلام. وأما زمانيًا، فالأمة واحدة عبر الزمان، منذ خلق آدم –عليه السلام– حتى واقعنا هذا وما يأتي مُستقبَلًا، يقول الحق –تبارك وتعالى–: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾. والخلل في مفهوم الأمة يترتب عليه خلل في الرؤية، ثم خلل في العمل.

وكذا في مفهوم الخلافة والتصورات المغلوطة عنه النابعة من الإعلام بصوره، فيقفز إلى الذهن فور ذكر الخلافة جواري العباسيين وترفُهم، ونوافيرُ الأندلس ومعمارها، مستبعدين كل مراحل الخلافة الإسلامية من مشقة وتعب وبناء واستضعاف... والأقبح من ذلك تصور أن الخلافة الإسلامية لا تكون إلا بمستحدثات العصر من مكتسبات مادية في العمران والتقانة.

والخلافة الحقة لها معايير، ومن لا يعلم تلك المعايير سهُل عليه إطلاق لفظة الخلافة على كل من ادعاها. والخلفاء الراشدون الذين أجمع المسلمون على ستة: أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب والحسن بن علي وعمر بن عبدالعزيز. وباستخدام نظرية الاستبعاد، لم يكن الأساس في خلافاتهم المدة الزمنية الطويلة، ولا الانتصارات الحربية الكاسحة، ولا الرخاء الاقتصادي الدائم، ولا سلامة المسلمين من الأوبئة والبلايا، ولا الرقعة الجغرافية الواسعة.

❋ ❋ ❋

هل تأسيس الوعي والاشتغال بإصلاح عالم الأفكار مفيد في هذا الواقع السيء الذي نعيشه؟ بالطبع نعم. قد يتسبب عن هذا الحل عمل ما فتفيد منه الأمة، وإن لم يترتب عليه عمل فهو في ذاته ناجع، فالواقع تتغير فيه أشياء تلقائيًا بتغير المفاهيم وتشكل الوعي في عقول من يعيشه. وعلى النقيض، قد تؤدي بعض الأفكار في وعيك إلى سلوكيات كارثية في الواقع كأن تمنعك عن أخذ كثير من الاحترازات التي قد تودي بحياتك في مآلاتها. ويتضح ذلك بذكر بعض الأمثلة لهذه الأفكار، وأولها مفهوم التشبيهات الزائفة:

- التعامل مع الأنفلونزا كفيروس بسيط يأتي ويذهب وعدم الاحتراز له.
- تعامل المماليك مع الفرنسيين بعيدًا عن منظور استراتيجيات الحرب والتكتيك، والتعويل على القوة البدنية والتدريب العسكري فقط ونجاحه دائمًا.
- دخول إسرائيل حرب ٧٣ مع تصور عدم قدرة الأفراد على الصمود أمام المدرعات، وهو ما حدث في الحروب الثلاثة السابقة لها.

- ظن الفرنسيين في الحرب العالمية الثانية أنهم يقاتلون نفس ألمانيي الحرب العالمية الأول.

ومثال آخر لمسببات القرارات الكارثية ما يُسمى بمعضلة السجين/ أزمة المرفق العام/ الخيار العقلاني/ أزمة المرعى، وهو أن ينطلق كل إنسان من أفكاره الخاصة ساعيًا لاستفادة شخصية بغض النظر عمن حوله والضرر الواقع عليهم. وشاهد ذلك من سنة النبي ﷺ حديث السفينة.

وعلى النقيض من ذلك، منها ما يؤول الأمر به في بعض الأحيان إلى اتخاذ قرارات غير عقلانية، وهو أن يُعلم بخطأ قرار ما، بل والإجماع على خطئه، ثم هو يُمضى، كما حدث –مثلًا– في أزمة ثعالب تسمانيا.

ومنها ما يُسمى بمعضلة القطيع، وهي فكرة يسعى متبنّوها إلى الخوض في أي أمر اجتمع الناس عليه، أو قرره الرأس الحاكم ولم يعترض عليه أحد، بغض الطرف عن منافعه وأضراره، كما حدث في أزمة خليج الخنازير، والصواريخ الكوبية.

ومنها أيضًا معضلة السد، ومفادها أن يفعّل الإنسان خاصية حجبٍ في عالم أفكاره لكل فكرة أو احتمال قد يقع بسببه ضرر عليه، ويلجأ الإنسان لهذه الحيلة العقلية كي يتمكن من العيش بدون وسواس ينغص عليه حياته، ومن أمثلة ذلك إلغاء الطالب لبعض الأسئلة صعبة المذاكرة من مادة الامتحان وتقبّل فكرة أنها من المستبعد أن تأتي في الامتحان، وكذلك الجندي المحارب في حجبه لفكرة أن تترك قذيفة العدو ميدان المعركة كله ثم تدمغه هو... وهكذا.

والإنسان –بطبعه– كائن ممل، لا يتعلم من أخطائه ولا يأبه إذا وقع في نفس الخطأ مرات وراء مرات، ومثال ذلك فترة الامتحانات عند الطلاب في مختلف مراحل التعليم، فلا يحلو الاطلاع على قضايا الأمة وقراءة الكتب التي علاها التراب وإنجاز المشاريع المؤجلة... إلا عند صعود مهمة مُلزمة ومُرهقة إلى سطح المكتب.

ولم يدع الأمريكان مثل هذا الأمر يمر بسلام، بل تم عمل دراسة إحصائية على أكثر من ثلاثين ألف شركة لأكثر العوامل التي تسوق الشركات –خاصةً كانت أو عامةً– إلى اتخاذ قرارات كارثية، وكان ذلك عن طريق استبانة لموظفيها مكونة من بعض الأسئلة المتعلقة برؤية الشركات ورسالتها وأهدافها ومدى التزام الشركات بها... وكانت الشركات الأكثر نجاحًا هي التي كانت تحافظ –بأي ثمن– على علاقتها بموظفيها وتنمية إحساسهم بالانتماء لكيانها. يظهر ذلك بقوة في سنة النبي ﷺ إذ إن بضعًا وثلاثين شُعبةً من شُعَب الإيمان عبارة عن شُعَب اجتماعية تحافظ على بقاء الشبكة الاجتماعية للمجتمع في تجانس، كشُعَب الإجارة والتوصية بالجار وحفظ حقوق المسلمين عمومًا وما إلى ذلك.

من المهم بناء تصور المكوّنات الصحيحة لمجتمعاتنا، وأن الأمر ليس جمعًا جبريًا فيصلح المجتمع بمجرد زيادة عدد الصالحين فيه، وليس أيضًا بمجرد صلاح رأس المجتمع فيصلح أفراده تبعًا له، وليس بالطبع حله في الطوفان، فهذه أمة محمد صلى الله عليه وسلم وليست أمة نوح.

المجتمع التقليدي قبل عام ١٦٤٨ لجميع الأمم نستطيع تقسيمه إلى ثلاث طبقات: الطبقة السياسية الحاكمة وطبقة الجماعات الوسيطة والمجتمع. والجماعات الوسيطة هي بعض الجماعات المسئولة عن مهام معينة تهم المجتمع بصورة ما، ضرورية كانت أو حاجيّة أو تحسينية، منها جماعات وسيطة علمية (كعلماء الأمة ومعلّميها وقرائها)، ومنها خدمية (كالسائقين)...، ولا تنتمي هذه الجماعات إلى النظام السياسي الحاكم انتماءً تنظيميًا. ويظهر خلل كبير في المجتمعات عندما تطغى إحدى هذه الطبقات على الأخرى.

ومفهوم الجماعة الوسيطة قد يتسع ليشمل أي عمل مفيد في أي جانب من جوانب المجتمع أو يصب في شُعبة من شُعَب الإيمان، وبتكامل هذه الأنشطة الوسيطة في المجتمع نجد في النهاية أن أغلب شعب الإيمان قد تم تغطيتها، وأن هناك جماعة من الناس قائمون على كل فرض كفائي مفروض على هذا المجتمع. ومهمة الحاكم مع هذه الجماعات الرقابة عليها لتظل على منهج الله -عز وجل-.

أشهر صورة قديمة تراثية للجماعات الوسيطة في الأمة الإسلامية هي الصورة الوقفية. والمجتمع المسلم -قديمًا- كان أفراده على مقدار من فهم الدين وعلم بأحكامه ما يدفعهم إلى سد ما يُفتح من ثغور إخوانهم تلقائيًا، وكان العالِم -حينئذ- عالِمًا حقيقيًا على قدر كبير من التحرر من قيود النظام السياسي؛ فهو يأخذ معاشه من وقف وليس من نظام، ويظهر ذلك بقوة في المجتمع المصري أثناء مناهضة الاستعمار الفرنسي والحملات المسلحة ضده، على العكس تمامًا من مصر محمد علي مثلًا -والذي ضم الوقف للدولة للضغط على العلماء- أو ألمانيا هتلر أو اتحاد ستالين السوفيتي، فصنع أولئك بلادًا كبيرة وأفرادًا صغارًا.

❋ ❋ ❋

عندما جاء الجيش الفرنسي لاحتلال مصر، دخل البلاد بسهولة لم يكن ينتظرها، احتل عاصمتها واستقر له السلطان فيها. ولم تكن أيام قلائل حتى ظهر فيه القلق وعظمت حوله القلاقل ولم تنقطع الحروب والمناوشات ولم يهدأ لرؤساء العساكر بال. كان هذا نتيجةً طبيعيةً لما كانت عليه حال المجتمع المصري آنذاك، فقد كان للأهالي بأسٌ وكانوا في استعداد لحفظ كونهم. ثم ظهر محمد علي بالوسائل التي هيأها له القدر، أعدم كل رأس من خصومه، وسحق كل الأحزاب القوية، ولم يدَع رأسًا من رؤساء البيوت الرفيعة، واتخذ من المحافظة على الأمن سبيلاً لجمع السلاح من الأهلين وتكرر ذلك منه مرارًا حتى فسد بأس الأهالي وزالت ملكة الشجاعة منهم، ولم يُبق في البلاد إلا آلات له يستعملها في جباية الأموال وجمع العساكر بأية طريقة وعلى أي وجه، فمحق بذلك جميع عناصر الحياة الطبيعية من رأي وعزيمة واستقلال نفس.[1]

وظهر خطر التجنيد الإجباري للفلاحين بوضوح في حرب الدراويش حين نزل الجيش النظامي المصري بقيادة الإنجليز للسودان ليقابلوا جيش المهدي السوداني، وفي كل مرة تم الفتك بالجيش المصري من قبل الدراويش مع بساطة إعدادهم في مقابل عتاد الجيش المصري. يقول برونر في سبب هذه الهزائم: «لأن الجندي المصري تعرض لمهانة تقتل رجولة مقاتل (فايكنجز)».

ثم نعود لأمثلة الجماعات الوسيطة في تراث أمة الإسلام وتمثله في صورة الوقوف وتغلغلها في كل مجالات احتياجات المسلمين، حتى إن من أمثلتها: وقف ماعون اللبن للأطفال، ووقف الأواني المكسورة، ووقف لأقلام وأحبار وأوراق طلب العلم في المساجد... وهكذا

[1] من مقال (آثار محمد علي في مصر) لمحمد عبده. رابط للمقال: https://bit.ly/2Bbxipq

أمثلة. وذلك حتى ضم محمد علي الأوقاف للدولة المصرية، مرورًا بجمال عبدالناصر الذي أصدر قرارًا بمنع الوقف الأهلي، إلى أن بلغ الأمر ذروته في وقتنا هذا بإصدار قرار مقطوع النظير بتجريم العمل المجتمعي.

وعند سماع مصطلح الجماعة الوسيطة يتبادر للذهن ابتداءً أنه عمل تطوعي قائم بصورة أساسية على تطوع بعض الأفراد بالمفضول من أوقاتهم لخدمة فكرة الجماعة الوسيطة أو قضيتها، والأمر خلاف ذلك، فهي في الأصل مشاريع تجارية ذات أرباح عالية تقوم بمهام مستدامة، إلا أن الأرباح لا توزع على مستثمرين.

وأما الصور المعاصرة للجماعات الوسيطة فمتنوعة ومتناسبة مع روح العصر الذي نعيشه ومتطلباته الضرورية، مثل جمعية (water charity) التي هدفها تفريغ الأطفال للّعب والتعلم وعدم إثقالهم بمهمة تحصيل المياه والمشقة الواقعة عليهم في سبيل ذلك، ومثل (أكاديمية الحفاة) الهندية التي تعلم النساء الهندسة التطبيقية لبعض المهارات الحياتية، ونظير ذلك في مصر قرية (تفهنا الأشراف) وما أُنشئ فيها من مشروعات صغيرة متتالية، ثم الجامعة الأزهرية الأولى في قرية، ثم تتابعت الأفكار والمشروعات فيها حتى لم يعُد في القرية مستحق واحد للزكاة، فأما هؤلاء فقد أدوا ما عليهم.

إن سقف الممكن أعلى بكثير من جهد جميع الأفراد مجتمعين، فهناك الكثير من شعائر الدين وشعب الإيمان متاحة لجميع أفراد المجتمع وليس من اهتمام الحاكم المستبد منعها، كالاشتغال بتعلّم العلم وتعليمه وإقراء القرآن والإعداد البدني ونشر الوعي والمعرفة...، والمطلوب هنا استنفاذ أكبر قدر من هذا الممكن قبل أن يُمنع هو الآخر، وعدم الندب والتحسر على ما مُنع تحسرًا يُقعد عن العمل وعن استغلال المساحات الممكنة.

نحتاج أن نعطي القدر الأكبر من جهودنا وأذهاننا للقضايا التي هي داخل دائرة تأثيرنا بدلًا من خداع النفس بتبني قضايا كبيرة جدا ولكنها خارج هذه الدائرة، وما نفعل هذا الأخير إلا لبناء إحساس زائف بالإنجاز وتسكين الألم الذي نجده في صدورنا من سوء الواقع الذي نعيشه وعدم تحملنا لمؤنة تغييره. وليتنا ندرك أن من سنن الله -عز وجل- أن هذا الممكن إن لم يُبذل فيه الوُسع يُرفع كما رُفع ما قبله.

❋ ❋ ❋

نريد أن نستعرض هذه الأفكار عبر التاريخ، فنبدأ بأطراف العالم الإسلامي. فقبل عام (١٤٩٢م) كان العالم الإسلامي عاملَ ضغطٍ على العالم كله ومحكمَ القبضة على أكثر من ثلثي العالم.

أرادت إسبانيا والبرتغال أن يتحركا بعد حرب الاسترداد من حافة القارة، ولأجل الاحتكاك بالعالم الإسلامي فلا سبيل إلى ذلك إلا من خلال البحر المتوسط، إلا أن جميع ممالك شمال أفريقيا مسلمون، وثلث شمال البحر المتوسط متمثل في الدولة العثمانية وأسطولها القوي، فكان لا بد لهما من الالتفاف حول العالم الإسلامي إلى أن يصلوا إلى الهند لتجارة التوابل، والذي عُرف تاريخيًا بطريق رأس الرجاء الصالح، واكتشفوا في هذه الرحلة ضَعف بعض البلاد الإسلامية.

ووقع بين البرتغال وإسبانيا على إثر هذه الرحلة الاحتلالية تنازع على البلاد المحتلة، فتحاكما إلى بابا الكنيسة، فقسم العالم إلى منطقتي استكشاف واستعمار، وحدد خط تنصيف للعالم، حيث تنتمي الأراضي المُكتشفة المتجهة لشرق الخط إلى البرتغال، والأراضي المتجهة للغرب إلى إسبانيا، فيما عُرف بمعاهدة (توردسيلاس).

تحركت إسبانيا متجهة إلى الهند، وكانت من الجزر التي وجدوها في طريقهم ما يُسمى عند المسلمين بجزر المهراج أو سومطرة أو جاوة، فأطلقوا عليها إندونيسيا، أي: جزر الهند.

ومهم أن نتوقف مع تسمية إندونيسيا وما كان يُسميها المسلمون قبل هذه التسمية الأجنبية، لأن التسميات والمصطلحات عند المسلمين أمر حرِج لا ينبغي إمراره دون تحرير؛ فالنبي ﷺ مما أُرسل به تغيير أسماء الأشياء وتسميتها تسمية شرعية (كإلغاء تسمية يثرب والأمر بتسميتها بطيبة)، لأن الأسماء لها إشارات ودلالات في وعي الإنسان وتصوره عن الأشياء وأثر على الذاكرة الجمعية لأفراد الأمة ومعالم هُويتهم، ومثال ذلك تسمية (الكاميرون) التي أصلها تسمية البرتغاليين لها بخليج البراغيث، أو تسمية (ساحل العاج) باسمها الفرنسي كوت دي فوار، وأسماء الشهور الميلادية وأسماء الأيام الإنجليزية الدالة على آلهة قديمة أو أباطرة يونان، حتى إن تسميات الشوارع لها دلالات إيجابية كشارع (أحمد بن حنبل)، وسلبية كمحور (جوزيف تيتو).

ونعود إلى إندونيسيا، هذه الجزر كانت وثنية، ثم دخلها الإسلام عن طريق التجار المسلمين في القرن الرابع عشر، ثم احتلتها البرتغال لبعض الوقت، ثم احتلت إسبانيا البرتغالَ وورثت أغلب ممتلكاتها، ولما ضعفت إسبانيا في إندونيسيا ورثتها من بعدها هولندا واستقرت فيها ما يزيد عن ثلاثة قرون، وفي هجوم الهولنديين على أطراف الجزر، اضطر الأمراء والسلاطين المسلمون إلى النزوح إلى داخل الجزر، وأسلم عدد كبير من سكانها في هذه الحركة.

صعدت في أوروبا في هذه الأثناء ظاهرة مهمة جدًا وغريبة على العالم الإسلامي، بل لم يكن العالم كله يعرفها إلا في هذا الوقت، وهي نشأة الشركات المساهمة، والتي أصبحت في فترة بسيطة جيوشًا محمّلة، تملك عددًا كبيرًا من السفن المدعمة بالمدافع، وتأخذ تصريحات وامتيازات من الملوك للاستكشافات الجغرافية في مقابل نسب من الأرباح، وهذه الشركات ستحتل أكثر من ستين بالمئة من مساحة العالم الإسلامي منفردة.

وكانت شركة الهند الشرقية الهولندية هي صاحبة النفوذ الأكبر في إندونيسيا لفترة طويلة من الزمن، حتى أصبحت بريطانيا هي أقوى قوة بحرية في العالم فنازعت هولندا في هذه الجزر وحكمت الشركة البريطانية للهند الشرقية، ثم جاءت من بعدهما اليابان محتلة لإندونيسيا حتى ضعفت بعد الحرب العالمية الثانية، ثم جاءت محاولة بريطانيا وهولندا لدخول إندونيسيا مرة أخرى، ولكن تتصدى لهم المقاومة الشعبية وقوات الجيش الإندونيسي الحديث، ثم تُعلن إندونيسيا دولة مسلمة مستقرة عام (١٩٤٥م).

وإذا سألت أحد سكان هذه الجزر عن انتمائه، قال: «أنا إندونيسي»، فمن أين جاء بهذا الانتماء؟ ومن قام بتقسيم هذه الجزر إلى هذه التسميات؟ فيظهر لنا مصطلح (الجماعات المتخيلة) وهو صناعة انتماء مُتخَيّل لأمر ليس بالحقيقي. ثم إذا جئنا للّغة التي اعتمدتها إندونيسيا

كلغة رسمية –والتي من المتوقع أن تكون عربية لعظم نسبة السكان المسلمين بها–، نجد أنها اعتمدت لغة (بهسا إندونيسيا) ثم كتبتها بحروف لاتينية! وأما النظام السياسي فالعلمانية؛ لكونها من جملة الدول الداخلة في مفهوم الدولة القومية الحديثة، والذي هو مفهوم علماني بالأساس.

وقبل عام (١٦٤٨م) لم يكن العالم يعرف ما هو مصطلح الدولة القومية الحديثة أصلًا، لا نظريةً ولا استعمالًا، حتى تم عقد اتفاقية (وستفاليا) التي نتج عنها تفكك الإمبراطورية الرومانية المقدسة القديمة إلى الدول المعروفة لدينا الآن ببريطانيا وفرنسا وبلجيكا وهولندا وألمانيا... ونشوء مفهوم الدولة القومية الحديثة، والتي يُفترض إنها إقليم له حدود مقدسة، يسكنه شعب متجانس إثنيًا وله لغة وتاريخ مشترك –ولو مُتوهّم– وسيادة على هذا الإقليم. ومر مفهوم القومية هذا بمراحل تكريس على مدار مائة عام حتى اندلاع الثورة الفرنسية التي أكسبت هوية الدولة القومية علمنة زائدة عن الحد وعنفًا شديدًا ضد الملكية والدين بشكل عام، على عكس قومية بريطانيا المتصالحة مع الملكية والكنيسة.

ومن الناحية الشرعية، فبالطبع لا يلتئم مفهوم الدولة القومية الحديثة مع تصور الشريعة لأحكام الديار، ولا تخضع الشرائع الإسلامية الاجتماعية والسياسية في تطبيقاتها للحدود الإقليمية. يقول محمد عبده: «الجنسية ليست معروفة عند المسلمين، ولا لها أحكام تجرى عليهم لا في خاصتهم ولا عامتهم. وإنما الجنسية عند الأمم الأوروبية تشبه ما كان يسمى عند العرب عصبية .. والبلد الذى يقيم فيه المسلم من بلاد المسلمين هو بلده ولأحكامه عليه السلطان دون أحكام غيره».[1]

ونعود للنموذج الإندونيسي ونسأل سؤالًا مهمًا: ما الذي يدفع دولة تصل نسبة المسلمين فيها إلى ثمانية وتسعين بالمائة إلى هذه الاختيارات المستهجنة في الانتماء واللغة والنظام السياسي، لا هي اختيارات إسلامية ولا هي ترك للإسلام بالكلية؟

كل الدول التي استقلت من الاستعمار –تقريبًا– في العالم خضعت لحكم عسكري؛ فالمستعمِر عند خروجه من بلد هو من قام بتعميرها وبناء أسطولها وجيشها وكلياتها... من مصلحته أن يسلمها إلى من يحفظ هذا البناء بالتوازي مع حفظ أغلب نفوذ هذا المستعمِر فيها، فليس من مصلحته تركها في فوضى، خصوصًا أن الاتحاد السوفيتي خرج من الحرب العالمية الثانية في قوة وقد يسيطر هو على الدول المستقلة من الاستعمار الرأسمالي، وهذا الأمر شديد الخطورة على النظام العالمي؛ فكان أحسن اختيار أمام المستعمرين في كل هذه البلاد: الجيوش.

فكان أول رئيس لإندونيسيا الضابط العسكري (أحمد سوكارنو) الذي قرر أن الدولة علمانية المنهج اشتراكية النظام الاقتصادي، فنشب على إثر ذلك صدام مع الحركات الإسلامية التي ساهمت بقوة في دفع الاستعمار، فبدأ حركة اعتقالات وإعدامات واسعة لأفراد هذه الحركات. ثم استشعر خطورة أخرى من انتشار الشيوعيين وأن ذلك قد يؤدي إلى تسلط الاتحاد السوفيتي على البلاد، فما إن بدأ في توجيه الضربات العنيفة للحركة الشيوعية حتى حدث تغير في نظام الحكم وتم تنحيته وتولى الحكم بعده (أحمد سوهارتو) فهمش الاشتراكيين والشيوعيين ووجه الدفة في اتجاه الرأسمالية ساعيًا للانفتاح، وفتح بعض المجال للإسلاميين. وصعد إلى الحكم بعده (يوسف حبيبي) الذي استمر في الحكم لعام واحد –تقريبًا– ثم تولى من بعده (عبدالرحمن وحيد) ابن رئيس أكبر جمعية إسلامية في إندونيسيا (جمعية نهضة العلماء)، وعضو في (مركز شيمون بيريز للسلام) إلى جانب ذلك. وحكمت بعده (ميجاواتي سوكارنوبوتري) ابنة أحمد سوكارنو كأول امرأة

---

[1] من فتوى الجنسية لمحمد عبده. رابط للفتوى: https://bit.ly/2CWmOdx

تحكم إندونيسيا، ثم (سوسيلو يودهويونو)، ثم الرئيس الحالي لإندونيسيا (جوكو ويدودو) وهو أول رئيس من خلفية شعبية يحكم إندونيسيا وليس مدعومًا من المؤسسة العسكرية.

لا توجد دولة قومية لا تتخذ من الدين ما يدعم هويتها و تعادي وتوالي عليه. وهنا يكون الدين فقط أداة من أدوات الدولة في الحكم والسيطرة على العقل الجمعي، ولا تُلزم نفسها بتطبيقه بالكلية وإنما في إطار مصلحة سياسات الدولة فقط. يقول سيد قطب: «إن الأمريكان لو عرفوا حقيقة التكافل الاجتماعي في الإسلام لفرضوه فرضًا على الشرق الأوسط، لأنهم لن يجدوا سدًّا أقوى منه في وجه الشيوعية».[1]

سؤال آخر مهم: كيف ظل الإندونيسيون مسلمين أصلًا مع غياب العلم بشرائع الإسلام -صغرت أو كبرت- تمامًا؟ وهذا أمر جيد في العموم، لأن بقاء بذرة الإسلام وأصل لا إله إلا الله والتمسك به في ذاته يُنجي من النار وإن غابت بقية شعب الإيمان، وقد يدفع هذا الأصلُ بعضَ الأجيال إلى البحث عن الدين وتعلمه ونشره، على عكس إذا غاب هذا الأصل، فلا يبقى من الإسلام شيء ولا يتولد حتى دافعٌ للبحث.

والكافر حين يرى من المسلم تنازلًا عن بعض مبادئه وعقائده يطمع في التسلط عليه، تُنزع من قلوب الكافرين مهابةُ المسلمين ويُلقى في قلوب المسلمين الوهنُ. ويتجلى هنا مفهوم التسلل الاقتصادي لمعايير الغرب وثقافاتهم إلى دول الإسلام، فينبغي أن تكون التجارة مع الدول الكافرة مبنية على أصول المعاملات الشرعية الإسلامية وشروط المسلمين، وليس على معاييرهم وشروطهم هم. وعدم الالتزام بذلك يزيد الكافر -مع الوقت- قوة ويزيد المسلم ضعفًا، ويرفع الله -عز وجل- عن المسلم حفظه ورزقه لمخالفته أوامره ويسلط عليه الكافر. فالأنشطة الاقتصادية تفرض على الناس اختيارات معينة في التعليم واللغة والمهارات بحثًا عن الربح الأعلى. فما بالك إن كانت هذه الأنشطة لدولة أجنبية وعلى غير المعايير الإسلامية؟ كيف تظن أن تكون الأجيال القادمة في تدينها ولغتها وهويتها؟

يقول المستشرق الهولندي جورنجيه: «أن تصبح إندونيسيا أمة هولندية، تعيش في الشرق بروح هولندية قلبًا وقالبًا، فتبني مجد هولندا في ثقافتها وتستعمل لغتها، وتتخلق بعاداتها وتقاليدها!» والغريب في هذه الرسالة أنه لم يذكر في كلامه دين إندونيسيا، لأن دين الناس ثابت من الثوابت يمثل حائط صد أمام كل فكرة جديدة، وإنما الذي يمكن تغييره: الثقافة واللغة والعادات والتقاليد، فكان من مقاصد الشريعة مخالفة الكفار في عاداتهم وتقاليدهم وثقافاتهم، وعدم وجود تلك المخالفة وهذا التمايز المقصود يؤدي -تدريجيًا- إلى تماهٍ تام مع المخالف في أصول العقائد والأحكام، وانحسار مفهوم الولاء والبراء في القلوب.

النظم الاجتماعية هي أكبر وأهم تشكّل للإسلام، فالإيمان معنوي في القلوب، ومحسوس يُرى في تطبيقات الناس لشعب الإيمان، وفي تعليم الناس لهذه المعاني المعنوية ومقتضياتها وإنشاء مؤسسات قائمة على استدامتها. يقول المستشار طارق البشري: «لا يمكن تحويل المسلمين عن الإسلام عن طريق الجدل الديني» فتلجأ القوى الأجنبية لإفساد التجليات الاجتماعية للدين والمؤسسات القائمة على استدامة شعب الإيمان. وباستمرار المجتمعات على هذه الحال، ينشأ فيها جيل بعد فترة لا يتحدث العربية ولا يعلم عن الإسلام شيئًا، وهذا مراد الكافر.

---

[1] من مقال (إسلام أمريكاني) من كتاب دراسات إسلامية لسيد قطب. رابط للمقال: https://bit.ly/2WAiREy

ثم يأتي دور (أحمد آل سوركتي) وأثره في إندونيسيا حينما استُقدم ليعلم الناس لغة العرب خوفًا من اندثارها في البلاد، فتعذر رجوعه لبلده فاستقر وأنشأ (جمعية الإصلاح والإرشاد العربي) للحفاظ على اللغة العربية في أراضي إندونيسيا.

وعمومًا، فالقلق من الإسلام الإندونيسي يتمثل في أن يوجد نموذج إسلامي غير مخيف للعدو، ولا يكون هو مقصد صاحب الشريعة. والمساجد الإندونيسية مُدعِّم لهذا القلق في زخرفتها المبالغ فيها، ووظيفتها ومدى توافقها مع وظيفة المسجد الحقيقية التي أقرها صاحب الشريعة.

والقاعدة تقول: ما لم يتم الواجب إلا به فهو واجب، فالحديث عن الأعمال العظيمة ونصرة الدين وإخواننا المستضعفين دون الاهتمام بالأساس الصحيح الذي تنبني هذه الأعمال العظيمة عليه من إعداد بدني وعلمي شرعي ومعرفي وحياتي هو نوعٌ من الترف الذهني. وهذه القاعدة تنسحب على كل مناحي الحياة من تطبيب الناس وتعليم الناس العلم... إلخ.

والمباشرة في الأعمال بدون استيفاء جانب التفكير والتخطيط يزيد من تضخم العمل في المجهود، فهنالك في الهند (مانجي) رجل الجبل الهندي الذي نحت طريقًا خلال الجبل في اثنين وعشرين عامًا باستعمال مطرقة وإزميل فقط، والذي كان من الممكن إتمام هذا العمل في أربعة شهور فقط من خلال نشر الوعي بأهمية هذا المشروع وتوريط الصالحين للتطوع فيه ثم تكثيرهم، وهذا على مستوى الفرد والمجتمع فقط. وقد يتم في أقل من ذلك لو تدخلت فيه الدولة وتم تنفيذه باستعمال معدات هندسية متخصصة. وذلك واقعٌ في كثير من المشاكل التي تواجه المجتمع.

❋ ❋ ❋

الهند، وتختلف الهند عن إندونيسيا في أشياء: أن المسلمين دخلوها في الفتح الأول في عهد عثمان –رضي الله عنه– وظلوا أكثر من ألف سنة يحكمونها، وانتشر اللسان العربي وعلوم الإسلام فيها –تبعًا لذلك– بشكل أكبر من إندونيسيا. وكانت الهند أكثر رسوخًا في العربية من مناطق أخرى مرت بنفس ظروف فتحها، كبلاد الخانات مثلًا، لأن هذه البلاد كانت مما مر عليه المغول في زحفهم وقاموا بتدميرها من خلال محق الشبكة الاجتماعية الحافظة للإسلام واللغة العربية فيها. وما دخل المغول الهند إلا وقد أسلموا فلم تتأثر الهند بهذا الزحف المغولي الضَرُوس.

ونريد أن نعود في الخط الزمني بعض الشيء لنرى الأخطار المحدقة بالهند. فقد مرت الهند ببعض المراحل قبل ظاهرة الكشوف الجغرافية: دولة مماليك الهند وتشابهها مع حقبة المماليك المصرية، ثم بداية حقبة ملوك الطوائف كالتي في الأندلس، ثم إيفان الرهيب وتضخم مملكة الروس...

ثم يأتي الحديث عن أعظم ملك في تاريخ الهند على الإطلاق كما تذكر المراجع التاريخية –خاصة الأوروبية منها–: (جلال الدين محمد أكبر) والذي حكم أكبر مساحة حُكمت من قبل حاكم واحد مركزي في الهند، والذي ابتدع فكرة (الدين الإلهي) للجمع بين الأديان داخل الهند والاتفاق –زعمًا– على القيم الإنسانية المشتركة.

بدأ احتكاك الغرب بالهند بمحاولة تواصل (توماس رو) بأمراء المغول في الهند وعلى رأسهم (شاه جهان) والذي لم يكن يعبأ بإجراء علاقات مع ملك لجزيرة بها مجموعة من الصيادين، وخرج من هذه الجزيرة بعد ذلك شركة تتعامل مع المسلمين في معاملات تجارية ثم توسعت حتى احتلت هذه الشركة (شركة الهند الشرقية البريطانية) الهندَ منفردة، ثم انضمت الهند إلى سلطة التاج البريطاني فيما بعد. وكان احتلال بريطانيا للهند أكثر فعالية من احتلال البرتغال وإسبانيا لها بسبب دخولهما الجغرافي الخاطئ من الساحل الشرقي، ودخلت بريطانيا من (هوجلي) والتي يسرت عليها الاستقرار والإعداد حتى استولت على العاصمة (دلهي) وأسقطت الإمبراطور بعد خمسين عامًا –تقريبًا– من دخول الهند.

تميزت الهند عن أخواتها من مستعمرات الإنجليز في أنها لم يمر على الهند تجربة تحديث قبل دخول المستعمر الإنجليزي (كما حدث في مصر)، وكانت المقاومة فيها للمستعمِر أقوى لوجود الإمارات المنفصلة والاستقلالية النسبية الأمراء، وكان نفوذ العلوم الشرعية واللسان العربي أعلى من نظيره في إندونيسيا، وكان المذهب السائد في علماء الهند: المذهب الحنفي، ومن خصائص الحنفية أنهم يجوزون الخروج على أئمة الجور من حكام المسلمين، وأن لديهم حساسية في التكفير. وهنا تم الاطمئنان على وعي مسلمي الهند وحفاظهم على المصطلحات الشرعية، فأفتى العلماء بالجهاد وأعلن إمبراطور المغول المسلم (بهادر شاه) الجهاد حتى قامت الثورة الهندية الكبرى ضد الإنجليز في عام (١٨٥٨م)، ولكنها حُسمت لصالح الإنجليز لإعدادهم العسكري الحديث، وبدأت حركة إعدامات واسعة في الثوار، ثم تم نفي (بهادر شاه) خارج الهند.

مارست بريطانيا منهج التركيع على الهند، اقتصاديًا فقضت على الصناعات المحلية، وسياسيًا وقانونيًا فغيرت النظم وألغت القضاء الشرعي، ثم تعليميًا فشكلت لجنة بقيادة (توماس ماكولي) لرفع حالة التعليم الهندي ووضع خطة لتطوير التعليم المحلي في الهند، فكان مما جاء في تقرير ماكولي: «خلق طبقة من الأشخاص الهنود في دمائهم ولونهم ولكنهم إنجليز في ذوقهم وآرائهم وأخلاقهم وعقولهم». كان هذا هو جوهر الاستعمار البريطاني للهند. فهل وعى المسلمون ذلك؟ وماذا كان رد فعلهم على خطة التركيع هذه؟

تم إنشاء مدرسة دار العلوم ديوبند عام (١٨٦٦م) بعد تقرير ماكولي بفترة وجيزة لتدريس العلوم العربية والشرعية والحفاظ على الهوية الإسلامية ومنع تعليم الإنجليزية في مواجهة الخطة التعليمية التغريبية لبريطانيا، ثم أسس (السيد الشريف أحمد خان) جامعةَ عليكرة الإسلامية عام (١٩٢٠م) وكان منهجه مختلفًا في التعليم عن المدرسة الديوبندية، فاختار تعليم علوم الإنجليز بلغاتهم، ونظر إلى القرآن نظرة تجديدية، ودعا إلى نوع من التعايش والتطبيع مع المستعمِر الإنجليزي، وقد تفرع عن أحمد خان الطائفة الأحمدية أو القاديانية. كان هذان مسارين من تعامل الناس مع الاستعمار: مسار التوحيد (المتمثل في جمال الدين الأفغاني والمدرسة الديوبندية) ومسار التفسيخ (المتمثل في أحمد خان وجامعة عليكرة).

دخل الإنجليز الهند والمسلمون يحكمونها، ولم يخرجوا منها إلا والمسلمون أقلية على طائفتين: طائفة ترى نبذ التنازع بين سكان الهند والاتحاد على إخراج المستعمر بعيدًا عن من يؤول إليه الحكم –والذي كان متوقعًا مآلُه إلى الكافر–، وطائفة شكلت حركة للاستقلال الإسلامي، وكان رسوّ الأمر في نهايته للأخيرة بدعم من الجماعة الإسلامية بقيادة أبي الأعلى المودودي للاستقلال بباكستان، والتي انقسمت فيما بعد إلى باكستان الشرقية (بنجلادش) وباكستان الغربية (باكستان) وإقليم متنازع عليه بين الهند وباكستان (كشمير).

تأسست دولة باكستان كأول دولة إسلامية تزعم أنها استقلت بسبب الإسلام، ثم هي اعتنقت المنهج العلماني بالطبيعة الحاكة على مفهوم الدولة القومية الحديثة في الأساس. ولأجل أن تنهض هذه الدولة الوليدة وتستقر مالت إلى بريطانيا خوفًا من بطش الهنود، وكان لا بد لها من قيمة تتبناها فلم تستطع الانفصال عن الإسلام بالكلية، وإنما استخدمت الإسلام كقوى ناعمة متلاعبةً بالحركات الإسلامية.

بالطبع نشب صدام بين الجماعات والحركات الإسلامية التي أسهمت في هذا الانفصال عن الهند وبين نظام الدولة، ثم احتدم الصراع بين باكستان الشرقية والغربية على التقسيم المتجانس للمساحة الجغرافية بعد أن استأثرت القيادات السياسية بكل النفوذ والثقل الاقتصادي والصناعي في باكستان الغربية. ارتأت الحكومة ضرب الحركة الإسلامية ضربة عنيفة وحكمت على أبي الأعلى المودودي بالسجن ثم بالإعدام، ثم كانت أول حرب بين باكستان الشرقية والغربية والتي عبأت الحكومة فيها الجنود بالإفراج عن الجماعات الإسلامية وإعلان الجهاد، ثم انفصلتا. وبعد الانفصال أعادت الدولة الصراع مع الحركات الإسلامية مرةً أخرى، وحُكم على المودودي بالإعدام للمرة الثانية. وبدأت العلمانية تتماسك.

يصل حزب شيوعي إلى حكم أفغانستان بعد الانقلاب على الملك الأفغاني ثم طلب من الاتحاد السوفيتي التدخل، وكان في هذا خطر على باكستان من دخوله لها بنفس الطريقة، فأعلن الجنرال (محمد ضياء الحق) الانقلاب على الرئيس الباكستاني (ذو الفقار علي) وقام بإعدامه في محاكمة سريعة. وبحثًا عن قوة للتماسك، قام محمد ضياء الحق بفتح المجال للجماعة الإسلامية وأعلن تطبيق الشريعة، وكان ذلك بمباركة السياسية الأمريكية لإجهاد الاتحاد السوفيتي المتوقع انتشاره في هذه المنطقة بسهولة بعد أخذه لأفغانستان. ودعت أمريكا حكومات بعض الدول العربية لدعم هذه الحركة الجهادية في أفغانستان بالأموال والمجاهدين، وذلك حتى أواخر الثمانينات، ضعُف الاتحاد السوفيتي ولا تريد أمريكا تمكّن المجاهدين، فأوقفت هذا الدعم المتدفق وأمرت الحكومات بسحب مجاهديهم وقامت بإعدام محمد ضياء الحق.

❋ ❋ ❋

الأمم عمومًا تتعرض لأخطار: خطر عسكري كالمغول، وخطر عقدي كمحاكم التفتيش الإسبانية، وخطر لغوي، وللدولة القومية الحديثة تعريف يبرز مدى تأثر الأمم بالأخطار اللغوية، فالدولة في هذا التعريف هي (لغة قومية في حماية قوة مسلحة)، فطبقًا لهذا التعريف يحدث الخلل في الدولة إذا تم فرض لغة أخرى على سكانها من قوة مسلحة أجنبية.

وكما سبق بيانه في الحديث عن الاستعمار، أن المستعمِر ليس هدفه تغيير دين المستعمَر، وإنما لسانه وثقافته، فتجد إيقاف التعليم باللغات المحلية للدول المستعمَرة وإجبارها على ممارسة لغة مستعمِرها، وضُربت لذلك أمثلة بالإنجليزية والهولندية والفرنسية في مستعمراتهم. وفي تغيير لغة الأمم بهذه الصورة اجتثاث للقدرة على الممانعة المستدامة ومقاومة هذا المحتل.

من تجليات الداروينية في العلوم الأخرى: الداروينية اللغوية، أي أن اللغات منها ما يموت ومنها ما تبتلعه لغات أخرى، ولا يبقى إلا الأصلح. واللغة تموت إذا مات كل المتحدثين بها (كلغة البُو)، أو تحولت لاستعمالات مقدسة فقط (كترانيم القبطية واللاتينية)، ولم تعد مستعملة في التواصل اليومي. وعلى هذا التعريف فالعربية ليست لغة ميتة بالرغم من عدم استخدامها في التواصل اليومي، لأنها تستخدم في

مجالات عدّة، كالإعلام والإذاعات وخطب المنابر والرسائل البحثية وطلب العلم وأخصه علوم الشريعة. واللغة العربية لا تموت -بإذن الله- لارتباط حياتها بحفظ الله -عز وجل- لكتابه، فهي محفوظة في صدور الذين أوتوا العلم والذين قيضهم الله لحفظ كتابه وسُنة نبيه ﷺ، ولا يخلو منهم زمان.

وإذا عدنا للحديث عن الاستعمار، فكما قلنا إن أحد الركائز الأساسية للاستعمار في تدجين المستعمرات: الثقافة والهوية وتغيير اللغة، ولتغيير المستعمر لغة الشعوب أهداف، منها نظرة الفرد ورؤيته للعالم وتغيرها بتغير لغته، ومنها تبدل منظومته القِيَمية، ومنها تغير هويته وانتمائه. فاللغة مكوّن رئيس من مكونات هذه الأشياء.

وفي مرحلة الثورة الفرنسية كانت روح الدولة القومية الحديثة قد غطت على كل ساكني هذه الدول وليدة القومية في أوروبا، ومِن هؤلاء السكان مَن هو ليس أوروبيًا ولا هو نصرانيًا، وهم اليهود، فتنشأ من داخل الحركات اليهودية المتأثرة بهذه الروح القومية الحركةُ الصهيونية التي تنادي بإنشاء وطن قومي لليهود، فلم يكن لهم بد من بحث مقومات الدولة وأسس بنائها -والتي أشرنا لها من قبل- ثم السعي في تحقيقها حتى تكتمل أركانها. بدأ الصهاينة في اقتراح العناصر التي تكمل بها لوحة هذه الدولة المتخيلة المأمولة، فوقع الاختيار على فلسطين كإقليم، ثم تم حشد اليهود ممن آمن بفكرة هذا الوطن ثم وافق على اختيار دولة فلسطين المسلمة القابعة في ظل الحكم العثماني كإقليم، فكان هذا الشعبَ.

ظهر على الساحة إليعيزر بن يهودا ونشر أول مقال له دعا فيه اليهود إلى تبني اللغة العبرية كلغة رسمية للإقليم الإسرائيلي، وكان هو أول نموذج تطبيقي واقعي لهذه الفكرة التي دعا إليها، فأصر على التكلم بالعبرية فقط في بيته وطالب زوجته بأن يسمع أطفالهما العبرية لا غيرها، فكوّن الأسرة العبرية الأولى منذ خراب الهيكل الثاني، فأحيا اللغة العبرانية بعد موات طال لألفي عام، ثم خاض معركة وعي في المتجنسين الإسرائيليين والطوائف اليهودية العريقة التي عارضت استخدام اللغة العبرية كلغة حياة يومية. أسس ابن يهودا (لجنة اللغة العبرية) التي جمعت كبار الأدباء واللغويين اليهود في فلسطين فتخطوا كل تلك العقبات التي وقفت دون إحياء هذه اللغة، فكان من نتاج هذا الجهد المكثف في خدمة اللغة إصدارُ أكبر معجم في تاريخ اللغة العبرية الحديثة، وكان الأمر سهلًا إلى حد ما لانتماء العبرية لأسرة اللغة العربية.

تم تأسيس (مجمع اللغة العبرية) ثم (الجامعة العبرية) ثم (معهد فولكاني الزراعي) ثم معهد إسرائيل للتقنية (تخنيون)... وهكذا نهض الكيان الصهيوني الإسرائيلي واستقر.

***

أسلفنا أن الدولة القومية الحديثة لها طابعٌ علماني -ولا بد-، فهل تنفصل بهذا الطابع العلماني عن الدين بالكلية؟ أم هناك سبيل إلى تصالح الدولة مع الدين؟ والجواب أن كثير من دول العالم متصالحة مع الدين أصلًا، ولكن الإشكال في مكانة الدين من النظام العام لهذه الدول ومدى هيمنته على تصرفاتها وحقيقة وظيفة كل منهما، وهذا ما نحتاج إلى تصوره وفهمه قبل أي محاولة لأسلمة فلسفة الحكم هذه. بناءً على هذا التصور تكون نقطة الالتقاء بين الدين والدولة بتحييد الدولة تجاه الشبكة الاجتماعية وتحويلها إلى علمانية غير معادية للدين في

المجال العام. فالدولة كائن لا يمكن تجاوزه، متغلغلة في كل مجالات الحياة، ولا تستقيم حياة الناس فيها إلا باستمرار أنظمتها العامة في العمل.

والمهم –والحال هذه– تكوينُ جذر اجتماعي قوي فاعل مبني على أساس شرعي، فتظهر شعب الإيمان في تجليات اجتماعية وتقوم الشبكة الاجتماعية باستدامة شهادة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) والوجود الاجتماعي لشُعَبها ومقتضياتها، تؤهل الكوادر وتعلّم العلم وتجمع الأموال وتبني المؤسسات وتنظم العلاقات في سبيل هذا الهدف وبما لا يخرج عن الإطار الشرعي الحاكم عليه.

فإن أراد أحد المسلمين أن يكون جزءًا من هذه المنظومة الاجتماعية بأدوات منهجية، فماذا يفعل؟

١. تحديد الرسالة الشخصية والثغر المناسب للفرد طبقًا لهذه الشبكة الاجتماعية، وذلك بما يتفق مع قدراته ومهاراته وما يمتلك من أدوات، ويقرأ في ذلك كتاب (إدارة الوقت بين التراث والمعاصرة) لمحمد أمين شحادة.[١]
٢. التغلب على الكسل وسفول الهمة وعدم الجدية من جانبين: **معرفيًا**، ويشاهد في ذلك مساق (learning how to learn) على موقع (كورسيرا)[٢]، **ونفسيًا**، ويقرأ في ذلك كتاب (علو الهمة) للشيخ محمد إسماعيل المقدم[٣]، أو للتوسع أكثر في علو الهمة في جميع شعب الإيمان يقرأ في موسوعة (صلاح الأمة في علو الهمة) للدكتور سيد حسين العفاني[٤].
٣. إنشاء أو الانضمام إلى مبادرة أو منظمة غير هادفة للربح تستديم إحدى شُعب الإيمان والعمل على إدارتها أو استجلاب من يستطيع ذلك، أو إنشاء شركة تجارية، ويقرأ في ريادة الأعمال وإنشاء الشركات الصغيرة (startups).

ومن المهم فقهه في العمل العام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن طلب الكمال والنقاء التام في المجتمع أمر غير واقعي ولا يتحقق معه أصغر الصغائر من أهداف هذا العمل، فهناك كثير من المسائل –وخاصةً في واقعنا المعاصر– تكون مخيرًا فيها بين ضررين ومطالب باختيار أخفهما، فالفقه الدقيق والحكمة في التعامل مع متغيرات الواقع وطبائع الناس ومركوزات فِطَرهم لهو أمر من الأهمية بمكانة، وهو واضح جليّ في سيرة النبي ﷺ وحكمته ورِفقه وتغافله في التعامل مع سقطات الصحابة –رضوان الله عليهم أجمعين–.

❊ ❊ ❊

وصلّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) رابط للكتاب: https://bit.ly/2RRS1Vl
(٢) رابط للمساق: https://bit.ly/1LqIUp4
(٣) رابط للكتاب: https://bit.ly/2HYOB2J
(٤) رابط للكتاب: https://bit.ly/1c7LVKK